تجليات الأنا والآخر في الأدب الإفريقي؛ قراءة في رواية "الإفريقي" لـ "وليم كونتون"

أحلام الواج

جامعة يحي فارس– المدية – الجزائر

تاريخ الإرسال: 21–05–2020	تاريخ النشر: ديسمبر 2021

الملخص:

تُعتبر قضية الأنا والآخر من أهم القضايا الّتي شغلت السّاحة الأدبية والنّقدية الحديثة منها والمعاصرة، وتمّ تجسيدها في العديد من الأعمال الروائية، وذلك لخدمة تفاعل الحضارات، وقد تناولت رواية "الإفريقي" العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر، وقدمت صورة واقعية تعكس رفض الذات الإيطالية للآخر الإفريقي، وهذه العلاقة الجدلية تحدّدت انطلاقا من العنوان وصولا إلى أخر صفحة من الرواية، فالآخر الأوروبي رسم مجموعة من الصور حول الأنا الإفريقية وجعلها تسير وفقها، وسيطرت عليها فترة طويلة من الزمن.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإفريقي ،الرواية الإفريقية ،الأنا ، الآخر .

Abstract :

The issue of the ego and the other is considered one of the most important issues that occupied the literary and critical arena, both

modern and contemporary, and was embodied in many fictional works, in order to serve the interaction of civilizations. And this dialectical relationship was determined from the title to the last page of the novel, as the European other drew a set of pictures about the African ego and made it follow according to it, and it dominated it for a long period of time.

Keywords:

African literature -The African novel - ego- the other.

مقدمة:

إنّ المتتبّع لجذور الأدب الإفريقي يجد أنّه يمتدّ إلى أقدم العصور، ويمزج بين مختلف الثقافات، ذلك أنّه نوع أدبي مهجن، أسهمت في تشكيله العديد من العوامل والمؤثّرات، وهو كغيره من الآداب الأخرى مرّ بالعديد من المراحل قبل أن يستقرّ على صورته النّهائية.

أسهم الأدب الإفريقي في التّعبير عن واقع الزّنوج، وأعاد الاعتبار لهم، بعد أن كانوا يعيشون في كنف العبودية، ومسكوتا عنهم في المجتمع، ولا يتمتّعون بأبسط حقوقهم، وقد كانت الرواية السبيل الّذي ساعد على إعادة الاعتبار للزنوج وتمثيل عوالمهم، والصور التّي رُسمت حولهم، وظلت لصيقة بهم فترة طويلة من الزّمن، وقد أسهم الروائي الإفريقي في تصحيح تلك الصّور الّتي رُسمت حوله، وكشف عن خبايا

خطاب الرجل الأبيض، وبيّن أنّ الفروقات تكمن في اللّون لا غير، ذلك أنّ الأعمال الّتي يقوم بها الزّنجي في بلده هي نفسها التي يقوم بها الرّجل الأبيض في بلده.

أولا: الأدب الإفريقي مفهومه وخصوصياته الفنية:

1. مفهوم الأدب الإفريقي

انطلاقا من مصطلح الأدب الإفريقي يتبيّن إلى القارئ أنّه الأدب الّذي يتنمي إلى قارة إفريقيا، باعتبار أنّ لكل قارة الأدب الخاص بها شأنه شأن الأدب الأوروبي، والأدب الأمريكي، والأدب الآسيوي، ومن هنا يمكن القول أنّ الأدب الإفريقي هو«**الأدب الّذي يصور واقعا إفريقيا بجميع أبعاده. وهذه الأبعاد لا تضم ألوان النزاع مع القوى صاحبة السيطرة السابقة على القارة وحسب، وإنما تضم أيضا النزاعات داخل القارة الأفريقية**»[1]. وعند الحديث عن الأدب الإفريقي تجدر الإشارة إلى أنّ القارة الإفريقية تضمّ العديد من الثّقافات، وتشمل بيئات متعدّدة لذلك لا ينبغي أن نطلق عليه اسم الأدب الإفريقي، ذلك أنّ الخصوصيات الفنية للأعمال الأدبية المتعدّدة هي الّتي يتم الاستناد إليها في تحديد فنية الأعمال الإبداعية ودونية غيرها، ومن هنا «**يمكن أن ننظر إلى الأدب الأفريقي في كليته كأدب قارة، أو في جزئيته كأدب إقليم معين أو منطقة معينة في القارة. أما أن نسحب الجزء على الكل فهذا ما لا يقبله العقل والواقع**»[2]. كما تجدر الإشارة إلى أنّ العامل

[1]– علي شلش، الأدب الافريقي، عالم المعرفة، 1993، ص15.

[2] – علي شلش، الأدب الافريقي، ص16.

السياسي كان له الدور الكبير في منح الريادة الإبداعية لعمل أدبي على حساب عمل آخر.

لطالما نُظر إلى أدب جنوب إفريقيا على أنّه يفتقر للبنية الفنية، ولا يتّسم بالتّماسك الفني والأسلوبي، كما نُظر إلى سكان هذه المنطقة نظرة دونية، فالزنجي يفتقر لأبسط مقومات الحضارة، وخضع إلى العبودية، ورُسمت حوله مجموعة من الأفكار الجاهزة الّتي كان يسير وفقها، ولم يتمكن من التّخلص منها.

لقد تضافرت العديد من العوامل والمؤثّرات في تشكيل هذا النّوع من الأدب، حيث« **جاء أدب أفريقيا المكتوب من منطقة "التشابك" بين ثلاث ثقافات هي : الأفريقية والعربية الإسلامية والغربية. أمّا الأدب الّذي جاء من المنطقة الّتي اشتبكت فيها الثقافتان الأفريقية والإسلامية فسأسميه الأدب الأفروعربي . وأما الأدب الذي جاء من المنطقة التي اشتبكت فيها الثقافتان الأفريقية والغربية فسأسميه الأدب الأفريقي المستحدث**»[1]. وحسب رأي "يان" فإنّ الأدب الأفريقي نوع أدبي مهجن أسهمت في تشكيله العديد من الثّقافات العربية والغربية منها، هذا ما جعله نوعا أدبيا مستحدثا، ذلك أنّه يمزج بين الخصوصيات الفنية لحضارات مختلفة، وامتزاجه مع الحضارة الغربية جعله يُدرج ضمن المفهوم المعروف للأدب، وقد أسهم في التّعبير عن قضايا المجتمع.

[1]- يُنظر: Jahn, Janheinz, Neo-African Literature, New York: Grove .Press.1969.p 22

ومن مميزات هذا النّوع من الأدب نجد« **الوضوح الّذي يصل إلى حد الشفافية في الأسلوب، وبخاصة فيما يكتب باللغة الإنجليزية والبرتغالية، حتى ليبدو الأدب مباشرا بعيدا عن الالتواء والحذلقة والادعاء، التلقائية في التعبير، حتى ليبدو الأدب ساذجا ببعض الشيء كما في أعمال توتولا بصفة خاصة. وقد أدت هذه التلقائية على اختفاء العقلانية والسفسطة اللتين تتخمان الأدب الأوروبي، تتبع الرؤى والأساليب، تغليب الذات على الموضوع، حتى لتبدو معظم آثار هذا الأدب تجارب ذاتية للكاتب**»[1]. يكشف هذا القول عن أهم مميزات الأدب الإفريقي الّتي ينفرد بها عن غيره من الآداب الأخرى.

2- الرواية الإفريقية

ارتبطت الرواية الإفريقية« **ارتباطًا وثيقًا بمصطلح سوسيولوجيا الحياة من خلال صياغة تراكمات الحياة ومراحل تطورها وارتباطها الوثيق بحركة المجتمع والحراك الناجم عن ممارسات الشخوص بتركيباتهم المتباينة (الحالة الاجتماعية المتشابكة) وإبراز القضايا الاجتماعية والإشكاليات والأحداث المرتبطة بحركة هذا المجتمع الذي يكون مادة خصبة للروائي يتفاعل معها وبها من أجل تقديم عمل روائي زخم بكل المفردات والظواهر والملامح التي تؤسس لشكل المجتمعات الخارجة (والتي مازالت) من قبليتها وبداوتها إلى حيز التلاقح والمسايرة والاندماج**

[1]- علي شلش، الأدب الإفريقي، ص225.

مع العالم الخارجي الجديد عليهم، وهو ما يقرنه الكتاب بالبناء الفني للرواية »[1]. فالرواية الإفريقية تسعى إلى التّعبير عن واقع المجتمع الإفريقي، وترصد أحواله، وتجسّد قضاياه المتعدّدة، وهي كنوع أدبي تتّسم بمجموعة من الخصوصيات الفنية والشّكلية الّتي تتميّز بها عن غيرها من الأنواع الأدبية الأخرى.

ومازالت ثقافة الأوروبيين تمثّل امتحانا عسيرا للأفارقة، فالذات الإفريقية تشعر دائما بالنقص، و«**مازال الكاتب الإفريقي خارج مجال اللغات الأوروبية أو يشعر بالقلق إذا كان يكتب بلغة إفريقية مدونة. ففي كلتا الحالتين يعاني من ضيق رفعة القراء الناتجة عن ارتفاع نسبة الأمية**»[2]. يكشف هذا الموقف عن تبعية الذات الإفريقية للآخر الأوروبي، باعتبار أنّ الأوروبيين يتمتعون بكل شروط الحضارة، وأعمالهم الإبداعية تواكب تحوّلات العصر، لذلك أصبحت الأعمال الروائية الإفريقية ناشئة مقارنة مع الآداب الأخرى، وأصبحت الرواية الأوروبية المعيار الذي يُستند إليه في الحكم على فنية الأعمال الروائية، ودونية غيرها، فإذا وافقت الرواية الإفريقية الخصوصيات الفنية والأسلوبية للرواية الأوروبية فإنها تستوفي شروط النوع الروائي وتدرج ضمن قائمة الإبداع الروائي، وإذا خالفت تلك الشروط يتم نفيها، وتهميشها، لذلك أصبح الروائي الإفريقي رهين الخصوصيات الفنية للرواية الأوروبية، وعقدة النقص الّتي يشعر بها اتجاه ثقافته جعلته يكتب بلغة الآخر.

[1]– محمد عطية، الرواية الأفريقية طموح متزايد، صوت البلد، البلد، الأربعاء 29ماي 2019م، http://www.baladnews.com/article.php?cat=10&article=100566

[2]– جبر الدموز، سبعة أدباء عن إفريقيا، ترجمة علي شلش، دار الهلال، القاهرة، 1977، ص35.

ثانيا: ثنائية الأنا والآخر

1- الأنا

تعدّدت دلالات الأنا بتعدّد المجالات والتّخصصات، غير أنّ الدلالة الّتي تحملها الأنا هي الذّات، فهي «**الذّات الّتي ترد إليها أفعال الشّعور جميعها وجدانية كانت، أو عقلية أو إرادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسر فصله عن أعراضه، ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية**»[1]. فالأنا مرتبطة بالذات ونقيضها الآخر، ومن هنا فإنّ الأنا ترسم مجموعة من الصّور حول الآخر وتجعله يسير وفقها، ومن هنا تصبح في المركز والآخر في الهامش.

2- الآخر

إنّ تحديد دلالة الآخر تستدعي وجود الأنا ذلك أنّهما متلازمان، وعليه فإنّه« **مثيل أو نقيض "الذات" أو "الأنا"؛ وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري (الكولونيالي) أو ما بعد الاستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسوي والدراسات الثقافية والاستشراق. وقد شاع المصطلح في الفلسفة الفرنسية المعاصرة خاصة عند جان بول سارتر، وميشيل فوكو، وجاك**

[1]-مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، 2007م، ص 95.

لاكان، وإيمانويل ليفانتس، وغيرهم»[1]. وعليه فإنّ الآخر هو نقيض الذات، وهذه الثّنائية انبثقت من الخطاب الكولونيالي الّذي أسهم في تحديد الفروقات بينهما، وبقيت هذه الثنائية سائدة في السّاحة الأدبية والنّقدية وعالجها العديد من النقاد والباحثين المتخصّصين في هذا المجال«**وتأتي أهمية الآخر في الفلسفة السارترية الوجودية وفي علم النفس اللاكاني من جوهريته الأساسية في تكوين الذات وتحديد الهوية، وكذلك من إسهامه في تأسيس وتوجيه المنطلق الذاتي الشخصي والقومي والثقافي»**[2]. فلا تتضح دلالة الأنا إلا بوجود الآخر، فهو الّذي يقوم بتحديد الخلفيات الفكرية والمعرفية، والرؤى والأفكار الّتي تعتمدها الأنا، فعملية تحديد الدلالة الحقيقية متبادلة.

ثالثا: تجليات الأنا والآخر في رواية "الأفريقي" لـ "وليم كونتون"

افتتحت هذه الرواية بعنوان "بين عالمين" وبمجرد قراءة هذه العبارة يتبادر إلى الأذهان وجود عالمين متناقضين، وبالتّالي فهما في صراع دائم يسعى كل منها إلى إثبات ذاته وجعل الآخر في أدنى المراتب في مختلف المجالات، وبطل هذه الرواية هو "كيسمى كامارا" أحد الأفراد الأفارقة الّذين سمحت لهم الفرصة بإكمال تعليمهم في بريطانيا« **وظهرت في حياته مأساة حب أليمة، عصرت قلبه عصرا ولفحته ألما.**

[1] –ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، 2020، ص21.

[2] –المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفتحت عينيه وقلبه إلى تلك الهوة الواسعة من الخلاف بينه وبين عالم الرجل الأبيض»[1]. فمقابل الزنجي نجد الرجل الأبيض الّذي يحتل الريادة الفكرية، والثقافية، والحضارية، متفوق على الزنجي في كل مجالات الحياة، هذا ما شكل بؤرة صراع دائم بين الرجل الأبيض والزنجي أي بين الأنا والآخر، تلك الهوة دفعته إلى تأسيس حزب سياسي والّذي كان «**رمزا للأماني الوطنية التي تتمثل في رغبة الشعب في أن يعيش حرا وعلى قدم من المساواة في عالم يضم البيض والسود»**[2]. غير أنّ الزنجي لم يبق رهين الصّور النمطية الّتي ظلت لصيقة به فترة طويلة من الزمن، وإنّما سعى إلى التّغيير وإلى إثبات وجوده بطرق شتى حتى تزول تلك الفروقات بينه وبين البيض، ف "كيسمى كامارا" يمثل شخصية الزنجي الّتي تسعى إلى كسر تلك القوالب الجاهزة الّتي ظلت لصيقة بالزنوج فترة طويلة من الزمن، والّتي جعلتهم يؤمنون بها ويسيرون وفقها ويخضعون لسلطتها، «**ومنذ أن وعيت للدنيا، وأنا غالبا ما يتردد في أذني مزاعم الأجانب بأننا شعب كسول متراخ لا يلقى بالا بما يدور حوله، في حين أن ذاكرتي تعي تماما تلك المواكب التي لا تنقطع من النساء والرجال الكادحين هنا وهناك في القرية، يطبخون أو يكنسون أو يبنون أكواخهم أو يزرعون أو يحصدون»**[3]. فالذات البريطانية تنظر إلى الآخر والمتمثل في الإفريقي على أنّه شعب يتّسم بالكسل على الرغم من قيامهم بالأعمال الشاقة ليلا نهارا، وبقيت هذه الصفة لصيقة بهم، كما

[1]–وليم كونتون، الإفريقي، ترجمة حسن إبراهيم، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1968، ص5.

[2]– المصدر نفسه، ص5.

[3]–المصدر ،نفسه ص6.

كانت النساء يشتغلن بكثرة على جانب الأعمال المنزلية يقومون بمساعدة أزواجهن في الحصاد والزراعة وممارسة مختلف الأنشطة التي تأمن لهم العيش، وقد خضع الأفارقة إلى العبودية، فعندما أرادت المعلمة "شواتز" اختيار أحد التلاميذ لمساعدتها في الأعمال المنزلية وقع اختيارها على الفتى الإفرقي "كيسمى كامارا، ومن هنا بدأت رحلته لاكتشاف العالم الخارجي«**فقد تعلمت الكثير عن العالم الخارجي. وبدأت أدرك أن ثمة حواجز أعلى وأشد صعوبة من من حواجز اللغة واللون**»[1]. وأثناء انتقال "كيسمى" من وطنه إلى "ساجرسا" رأى ولأول مرة في حياته قطار هذا ما يعكس تخلف الأفارقة وبعدهم كل البعد عن صفات الحضارة، كما « **رأيت البحر لأول مرة، وكنت شأن كل تلميذ في أي مكان. أرى الناس وما يقومون به من أعمال يدوية ما يثير الدهشة والاهتمام أكثر مما تثيره الطبيعة من أعمال**»[2]. فرحلة "كامارا" إلى بريطانيا كانت رحلة اكتشاف من خلالها تمكن من الإلمام بواقع العالم الخارجي، والفرق الكامن بين بلده وبلد الآخر.

لطالما عاش الزنوج حياة العبودية، لا يتمتعون بحقوقهم، سلبت منهم حريتهم «**وكانت هناك ثورة كبيرة قام بها شعبنا وسقط فيها الكثير من الضحايا ولم يسفر عنها تحسن في العلاقات بيننا وبين الرجل الأبيض و"الأجانب السود" من سكان**

[1]–وليم كونتون، الإفريقي، ص11.
[2]–المصدر نفسه، ص19.

ساجرسا الذين انضموا إلى الرجل الأبيض في محاولة الإضرار بنا»[1]. فهدف الأنا استعماري بالدرجة الأولى، حيث تقوم بإلحاق الأذى بالآخرين، وتمارس عليهم مجموعة من الأنساق الّتي تشتغل بطريقة مضمرة، تجعلهم يسيرون وفقها، ويؤمنون بها، وعند التقاء "كامرا" بأحد الجنود في "ساجرسا" اقترب منه وتحدث معه« **بلغة بلادي "الهوسا". ولدهشتي أجابني الجندي بنفس اللغة دون أن يحرك ساكنا من جسمه. وعلمت منه الكثير ممن يتكلمون لغة "الهوسا" يعملون في الجيش»**[2]. فالآخر حُكم عليه أن يمارس بعض الأعمال كأن يكون جنديا في صفوف الجيش، أو يعمل في المزارع، وبعض الأعمال الشاقة، عكس الأنا التي تقوم بإعطاء الأوامر وتمتهن المهن الراقية، وقد كان السود يعتقدون« **بأن جنوب إفريقيا هي وطن البيض والملونين على السواء ونحن لا نرغب في طرد البيض أو استئصال شأفتهم من البلاد إن غاية ما يسعى إليه البيض في هذه البلاد هو الحصول على الأموال واستغلال العمال** »[3]. فغاية البيض تكمن في السيطرة على السود في مختلف مجالات الحياة.

أُعتبرت اللّغة عاملا رئيسا في التمييز بين الأنا والآخر، لذلك فإنّ الرجل الأسود ملزم بتعلّم لغة الأنا حتى يتمكن من إثبات وجوده، فلغة "كامارا" كانت لغة "الهوسا" لا يفهمها سكان إيطاليا، ولا سكان "ساجرسا" لذلك سعى جاهدا إلى

[1]– المصدر نفسه، ص16.
[2]–المصدر نفسه، ص19.
[3]–المصدر نفسه، ص114.

تعلم اللغتين حتى يتمكن من التواصل مع زملائه، حيث يقول: «**وفي اعتقادي، أن اتقاني لغة "ساجرسا" لم يكن وحده سببا في اكتساب احترام زملائي بل لا شك أن الذي أكسبني ذلك الاحترام، هو النجاح الذي لازمني في دراستي، إلى جانب الأموال التي كانت تأتيني من والدي، لأبدو معها رشيقا في ثيابي**»[1]. فتعلمه لغة الآخرين مكنه من النجاح في دراسته، ومن اكتساب احترام الآخرين له، فلو بقي رهين لغته الأصلية لما تمكن من تسيير شؤونه وإثبات وجوده في بلد الآخر(البيض).

تمكّن "كامارا" من الكشف عن خبايا الرجل الأبيض، وعن نظامه، وتوصّل إلى أنّ البيض يفتقرون للصفات الّتي كانوا يدّعونها من قبل، وهذا ما تجسد في المقطع الآتي:«**من قال أن الرجل الأبيض هو الجنس الأرقى والأسمى؟.. ألا تدل مظاهر النشوء والارتقاء على كذب دعواه؟ أن تكويننا الجسماني وشفاهنا الغليظة وشعرنا المجعد يدل على ذلك ويؤيده ويبرهنه..**»[2]. فكل من مظاهر القتل والانتحار والعنصرية تتسم بها ثقافة الأوروبي «**ثم عندكم أيضا التفرقة العنصرية.. ثم ماذا يحدث في هايد بارك.. أن ما يحدث هناك، يجعلني أؤكد ما كنت أظنه من قبيل الشك، وهو أننا ـ ياسكان الغابات ـ نملك المزيد من الأعصاب والشرف أكثر مما نملك من عقول**»[3]. فالبيض يعتقدون بوجود العديد من الفروقات بينهم وبين

[1]–وليم كونتون، الإفريقي، ص23.
[2]– المصدر نفسه، ص35.
[3]–المصدر نفسه، ص35.

السود، فهم يشعرون بالتفوق على الآخرين في كل مجالات الحياة هذا ما يدفعهم إلى إقصاء الآخرين وتهميشهم.

وفي بريطانيا تمكن "كيسمى" من كشف اللثام عن خبايا الثقافة الأوروبية وسلوكات أفرادها، فالرجل الأبيض لا يتسم بنفس الصفات الّتي كانت تدعيها ثقافته، ومن هنا انكشفت« **الخديعة الكبرى عن دور الرجل الأبيض في إفريقيا، ودعواه أنه نصف إله، ويجب أن تظل يداه نظيفتين أبدا، لا من المال، ولكن من الأعمال اليدوية الخشنة، وألا يسمح له بأن يحمل الأثقال ما يزيد عن حقيبة يد ولا أن يستعمل ما يزيد في وزنه عن قلم حبر!**»[1]. فالأعمال الّتي يقوم بها الرجل الأبيض في بلده غير التي يقوم بها في بلد الآخر، وعليه فإنّ النّظرة التّقديسية للرجل الأبيض عند الأفارقة هي الّتي جعلته يتفوق عليه ويُخضعه لسيطرته وهيمنته «**وكنا نراه في بلادنا يصدر الأوامر دائما ولا يتلقى من أحد، وكان في استطاعته أن يحصل على أية وظيفة، تعجبه وترضيه!**»[2]. فالآخر فسح المجال للسيطرة عليه، ومن هنا أصبح الرجل الأسود في أدنى المراتب، فالرجل الأبيض وإن كان لا يتمتّع بوظيفة في بلده فإنّه يتمتع بأعلى الرتب في بلد الآخر. كما أنّ «**الرجل الأبيض وهو يقوم بتنظيف مزاريب الشوارع في ليفربول كان من التجارب النافعة لنا والتي أفدنا منها الكثير. فقد أصبح من الممكن الآن أن نحب الرجل الأبيض، لأن الحب لا يولد هكذا**

[1]-المصدر نفسه، ص37.

[2]- وليم كونتون، الإفريقي ، ص37.

جزافا، بل هو وليد الاتصال والمشاركة الإنسانية والتجارب المشتركة ووحدة المصير»[1]. ف "كيسمى كامارا" تمكّن من تصحيح الصورة حول الآخرين، فبعد أن كان الرجل الأبيض مثالا للرقي والحضارة أثبت عكس ذلك شأن الرجل الأبيض شأن الآخرين لا توجد فروقات بينهم.

كان الرجل الأبيض والأسود في صراع مستمر يسعى كل منهما إلى إثبات وجوده وتفوقه على الآخر، حيث «**يحاول الإنجليزي فيما وراء البحار أن يبرهن على أنه متفوق على الرجل الأسود هناك، كما أن الرجل الأسود بدوره يسعى وهو في الخارج، ليبرهن على أنه لا يقل شأنا عن الرجل الأبيض**»[2]. وتجدر الإشارة إلى أنّ العقل كان العامل الرئيس في منح التفوق لفئة على حساب فئة أخرى، ذلك أنّ الشعوب المتطورة فكريا وثقافيا هي الّتي تحتل المركز، والأخرى الّتي يسودها الجهل والأمية وكفاءاتها العلمية محدودة تكون في الهامش، وما عليها سوى الخضوع للأنا ولهيمنتها، فمثلا "كيسمى كامرا" تعلّم اللغة الإنجليزية في بريطانيا وتعلّم أيضا لغة ساجرسا هناك، ومن هنا يتّضح أنّ البلد الّذي نشأ فيه يفتقر للمقومات العلمية وللكفاءات الّتي تساهم في رقي أفراد المجتمع، وفي إثراء رصيدهم الفكري واللغوي، حيث تعلّم الإنجليزية « **في سونجهاي، التي تقع في غرب إفريقيا، وسونجهاي مستعمرة بريطانية والكثيرون هناك الذين يعيشون في المدن الكبرى يتكلمون**

[1]– المصدر نفسه، ص37.

[2]–المصدر نفسه ص38.

الإنجليزية..»[1] لقد أصبح الأسود ملزما بتعلم لغة الآخرين حتى يتمكّن من نهل مختلف العلوم والمعارف فلغته لا تفي بالغرض.

أطلق البيض على السود لفظة الزنوج ورسموا حولهم مجموعة من الصفات، وقد «**لفظ الزنجي من الألفاظ التي تثير اشمئزاز واستنكار كل افريقي. ولن يستطيع كائن من كان أن يحول بيننا وبين الغضب اذا استخدمت هذه الكلمة، سواء استخدمت على لسان الشبان الانجليز. أو إذا نطق بها أطفالهم**»[2]. فالزنوج عرفوا بأنهم همجيون، ومتوحشون، لا يملكون لغة يتواصلون بها، وتصرفاتهم تقترب من تصرفات الحيوانات، كل هذه الصفات قام البيض برسمها حولهم، وكانت كلمة "زنجي" تثير غضب الأفارقة عند سماعها «**ولكن كيف استطاع هؤلاء البيض أن يسرقوا ثرواتنا؟! وهناك جواب واحد على هذا السؤال.. وهو أنهم تمكنوا من سرقة ثروات بلادنا، لأننا شعب منقسم على نفسه. وإذا استمر انقسامنا على هذه الصورة. فسنظل أبدا عاجزين عن إدارة شئوننا والتحكم في ثرواتنا .. وسنظل نهبا للصوص والمستغلين**»[3]. فالتباعد القائم بين أفارقة والانقسام جعل الآخرين يسيطرون عليهم، فهم من جعل ثرواتهم وممتلكاته تضيع منهم من جهة وتم احتقارهم من جهة أخرى، فالزنجي غير مُرحّب به في بلاد الآخرين، وقبل افتتاح المؤتمر الوطني الافريقي اجتماعه بحث "كامارا" عن صديقه "فردريك" وأثناء عثوره عليه وجده مخمورا، وقد«

[1]-المصدر نفسه ص52.
[2]-وليم كونتون، الإفريقي، ص59.
[3]-المصدر نفسه، ص89.

حانت ساعة اللقاء ويبدو أنه كان مخمورا جدا فلم يتعرف علي، وقد سمعته يتحدث إلى مدير الفندق عندما رآني قائلا له: جو.. حدثني. ما هذا العدد الهائل من الزنوج الذين تستخدمونه كل يوم؟. ثم مضى قائلا: " وإذا كنا نعلم أنه سيأتي اليوم الذي سيدوسون فيه علينا بأقدامهم، فلماذا إذن نملأ أفواههم بالطعام.. يجب عليك أن تطرد هذا الزنجي فورا وتلقي به إلى الشارع»[1] ورغم مركزية البيض وهامشية السود إلاّ أنّ الرجل الأبيض يعيش في حالة قلق دائم خوفا من ثورة السود وبالتالي يفقدون مكانتهم.

خاتمة:

وفي الأخير تجدر الإشارة إلى تضافر الجهود والعوامل الّتي أسهمت في تشكيل الأدب الإفريقي ومنحه خصوصيته الفنية والأسلوبية، هذا ما جعله نوعا أدبيا مهجنا كونه يمزج بين العديد من الهويات والثقافات، وقد أسهم بدوره في التّعبير عن أحوال المجتمع وقضاياه.

جسّدت رواية "الإفريقي" الصراع بين الأنا والآخر، فالأنا تسعى دوما أن تكون في المركز والآخر في الهامش، وحاول بطل الرواية "كيسمي كامارا" في هذه الرّواية تصحيح الصورة النّمطية الّتي كانت لصيقة بالأفارقة، وهيمنت عليهم فترة طويلة من الزمن، فكان الزنجي نموذجا للتخلف، والهمجية، ولا يملك هوية، ولغة، ويعيش تحت لواء العبودية، هذه الأفكار أسهمت في جعله في الهامش، لكن رحلة

[1]-المصدر نفسه، ص126

"كيسمي كامارا" إلى بريطانيا جعلته يكتشف خبايا الرجل الأبيض، ذلك أنّه لا يتّسم بنفس الصفات الّتي كانت تدّعيها ثقافته، ومن هنا فإنّ "كيسمي كامارا" قام بتصحيح النّظرة للسود وبيّن أنّ النظرة التقديسية للرجل الأبيض هي الّتي جعلته يحتل المركز.